الحقيقة والإتيقا في فلسفة باديو*

الباحث فركوس مرقب
إشراف أ د: عبد الحكيم صايم
جامعة وهران-2- محمد بن احمد

مدخل إلى فلسفة باديو:

الفلسفة عند "باديو" إبداع جاءت في ظروف غير مألوفة، مس التغيير فيها المنهج والمنطق وكذلك اللغة ولهذا وصفها " فابيان تاربي" قائلا:" لا ينكر أحد من المتخصصين التعقيد والأصالة في أعماله وقوتها الإبداعية"[1]. عرض فيها فكره بأسلوب متميز، حوّل فيه التضمين والترميز من سياق لسان بحت إلى مجال المفهمة ذاتها. ورغم ذلك فان لها معالم كلاسيكية واضحة، لأن فلسفة باديو تسعى إلى حل المشكلات الأبدية التي ظلت عالقة بالفلسفة كمشكلة الوجود والحقيقة والذات.

فكّك باديو فلسفة التيار ما بعد الحداثي وأعاد تنظيم الفكر تحت ذريعة غموض اللغة مقتفيا في ذلك أثر افلاطون الذي انتقد السوفسطائيين مبينا لهم بان الفلاسفة يبدؤون من الأشياء وليس من غموض الكلمات. ومن هنا يوصف باديو بأنه أفلاطوني. ومهمة الفلسفة عند "باديو" ليست هي مجرد السلب أو الشك أو التفكيك، بل كذلك بناء خطاب عقلاني وصحيح عن الكون والشرط الانساني في مواجهة الفكر النسبي والمذهب الشكي. إن الحقيقة عند " باديو" موجودة وتعبر عنها الفلسفة بأشكال مختلفة. ولا عيب إن اعتمدت في ذلك على مذاهب عظيمة (أفلاطون، هيجل) في ادراك تاريخ الحقيقة ، ذلك التاريخ المستمر يعود الى المشكلات والأطروحات الابدية. وبهذه الصفة التي يشارك بها فكر "باديو" في هذا التاريخ فهو فكر كلاسيكسي.[2]

منهج فلسفة باديو:

منهجيا اعتمدت فلسفة باديو على الرياضيات والمنطق لأن دراستهما تتيح انطلاقا من بنى دقيقة سبر غور المشكلات الفلسفية الأبدية. كما أن المنطق والرياضيات لا يكذبان ولا يقدمان إجابة مشوشة أو مؤجلة. وقد التزم كذلك بالمنهج الدياليكتيكي الذي يستحيل معه اختزال مقولة السلب، وهي مقولة تدل على "الاستثناء" لدى "باديو" الذي يرى بأنه إذا كانت الرياضيات و المنطق قد أكدا على شكل الأشياء فإن الكائن البشري حقق مفاجأة الهروب جزئيا من خلال الرقي إلى شكل آخر إلى نظام الاستثناء الذي يأتي مع هذا الكائن البشري، إنه الحدث. فالوجود البشري هو ظاهرة خاضعة لقوانين الرياضيات والمنطق، يدخل في علاقة جدلية مع الحدث (الاستثناء البشري). فنكون أمام وجود وحدث.

إن فلسفة " باديو" الموصوفة بأنها كلاسيكية، ليست اجترارا فكريا، ولا تكرارا لنصوص قديمة، بل رؤية جديدة للمشكلات الثابتة التي واجهت الفكر. فهي نظرة جديدة تأسّست على النظرية الرياضية وديالكتيك الوجود والحدث، مراجعة في ذلك أقدم المشكلات في الفكر، ثم إحيائها وفق مكوّنات جديدة ليس فيها إقصاء للنسقية التي لا تناسب إطارها، وإنّما زحزحت مكوناتها لأن "الاقصاء سيعرضها لخطر الخروج من التاريخ"[3]وهي لا تعطي إجابة على كل شيء لأنّ الحدث مفاجئ وجيّاش ولا حتمي.

فالحدث في فلسفة "باديو"هو لبُّ الحقيقة البشرية التي ينسجها بأربعة خيوط تعرف بالشّروط التوليدية للحقيقة هي العلميّ، والفنّي، والعشقيّ والسياسي. وهي أيضا شروط الفلسفة؛ لأنه بقدر ما أن الفلسفة أصل كل الأشياء، فهي توجد عند التقاء تلك

النشاطات الإنسانية من حيث أنّها تساؤل عن ذلك الذي يشكّل شروطها وتسعى لأن تفهمه فهمًا يقوم على الاختبار وليس على مجرّد التأمّل.

فإذا كانت الفلسفة قد بدأت منذ اللحظة التي بحث فيها اليونانيون أصل الوجود أو مبدأه والذي أرجعه "فيثاغورس" إلى الأرقام، فهو العنصر الذي وظّفه أفلاطون في تعاليمه، حيث رأى بأن الرياضيات تنتمي إلى نطاق المعقول، كغاية للفكر وأصدقها، لا نصل إليها إلا إذا حرّرنا ذواتنا من الحسّي والجسدي، فإنّها عند باديو قد قامت على هذا العنصر نفسه، وإذا كان هناك اعتقاد بأن الرياضيات تقودنا إلى مثالية من النوع الأفلاطوني أو إلى تصوّرات قبلية، فإنّها عند "باديو" على العكس، تؤكد على المذهب المادي الذي جدّده من بدايته إلى نهايته، بحيث نسّقه على أساس العلوم الرياضية. فإذا كان المذهب المادي في السابق عند "ابيقور" فيزيائيا وعند "لامتري" بيولوجيا، وعند ماركس تاريخيا، أوديالكتيكيا أوسوسيولوجيا؛ فهو لم يرتبط بالرياضيات، وهو ما لم يسمح له بالاتساع النسقي. إن باديو ابتكر صورة جديدة للمادية، ففي نظره أن البيولوجيا والفيزياء لا تكشفان عن أساس المادة بل "تكشف عنها القوانين الرياضية والمنطقية التي تنظم تكوينها الأبدي".[4]

إن الوجود عند "باديو" تعددية لا نهائية؛ وليس وجودا واحدا، وكل بحث عنه بصيغة المفرد هو مغالطة لغوية. وأن الرياضيات هي وحدها القادرة على وصف هذا النوع من التعددية المتفكّكة لا نهائيا، فهي التي تقول الأشياء. وقد تبين هذا في نظرية "كانتور" ثم أصبحت مع "أرنست زرملور" و"ابرهام كانتور" مسلمة بديهية، ليست في الأساس سوى نظرية المجموعات التي تنطوي على مجموعة فارغة. (Ensemble vide) صارت نظرية للرياضيات وقاعدتها الأبدية، فالرياضيات من حيث هي أرقام ودالات ونقاط وعلاقات جبرية، تعود في أصلها إلى المجموعات التي هي تراكيب وعناصر أولية لا نهائية. إذن " اللانهائي والتعدّدية هما الأساس الشرعي لكل شيء".[5] ومن هنا تكون الرياضيات حسب باديو وحدها القادرة على أن تحكم على الوجود الذي يتحلّل ويتفكّك لا نهائيا، والذي لا ينتهي إلى غياب معنى الوجود، كما هو الحال عند "هيدجر" وإنما إلى فراغه. فالفراغ هو الذي تجاوز به باديو النظرية المادية في صورتها القديمة إلى مادية رياضية ومنطقية؛ لا تنازل فيها عن الطبيعة العقلانية والخالية من المعنى ذلك الخلو الذي يسمّيه باديو الفراغ. وعن التفسير الرياضي للواقع أو الوجود الذي هو مجرد "بنى" بصيغة الجمع وبمعنى المحايثة مع الوعي "بأن هناك شيء ما يجيء مع الإنسان وبه يتجاوز البنى، وهو الحدث كلحظة أو فراغ تحتي في الموقف المدفون في البنى"[6] وهي المواقف التي يقتحمها فجأة الحدث الذي انبنت عليه فلسفة باديو في تعالق عضوي مع العلمي، والفني، والعشقي والسياسي، وهي ليست فقط موضوعات تأمّل بل كذلك تجارب، و"كل واحدة من هذه التجارب الوجودية هي حاملة ومنتجة للحقائق"[7]. ويحصل ذلك نتيجة لإجراء حقيقة ذي ثلاث أبعاد رئيسية: الحدث، الإخلاص، الحقيقة. يقول باديو"ليس هناك ذات واحدة، ولكن بقدر الذوات تكون الحقائق، وبقدر النماذج الذاتية توجد إجراءات الحقيقة"[8]. ومن هنا فإن الذّات هي مصدر الحقيقة؛ و"أنّه بالنظر إلى مثل هذه الذّوات يمكن -أن يكون مشروعًا- أن نتكلّم عن إيتيقا حقائق".[9]

مفهوم الذّات وعلاقتها بالحقائق:

إذا كانت الحقيقة معطى ذاتيا، فما هي الذّات؟ وكيف تصير ذات حقيقة؟

الذات هي الصفة الجوهرية للإنسان، لكن ليست فطرية أو موجودة فيه بالقوة. فهو كائن بشري أو حيوان إنسان عندما يتعلق الأمر بعمليات تخضع لقوانين الجسد والعقل، بحيث يسعى الجسد إلى الإشباع؛ وهنا يتناسب الفكر مع أنانية الجسد، فلا يتجاوز التأملات السطحية، وأن هذا الجزء من وجودنا معروف لدينا جميعا، قوي فينا، قد يدفع بنا إلى أن نهمل أو نخسر ذلك الإنسان داخلنا، ففي هذه الحال "لا توجد فكرة فهي حياة بلا مشاعر"[10].

وبالتالي فلا توجد فكرة هنا تعبّر عن حقيقة الذات في نظر باديو، ويقدم لنا كمثال أربعة نماذج من الأفراد لم يصلوا إلى مستوى الذات، ومنها فرد يقبّل زوجته بآلية، وهو لا يحبها؛ وأن آخر يشعر بسعادة لأنه على علاقة مباشرة أو متخيلة مع الواقع، يغامر فيه بغريزته؛ ورابع لا يرى في عمل فني سوى نوع من الإقناع المهدئ للأطفال، ولا يرى فيه محركا للمشاعر أو منبعا للكشف عن فكرة أخرى للإنسان والتي ليست تمثّلات عقلية بسيطة وهمية أو ظاهرة ثانوية للمخ؛ بل هي فكرة ذات عظمة وكبرياء؛ عليه أن يرفع نفسه إلى مستواها أي أن يخلق لنفسه نمطا من الوجود والعيش له، وهو ما لأجله تستحق الحياة أن تعاش. إن هذا الجزء الأثمن من حياته يعتمد على هذا الجوهر الإنسان الذي لا ينتج طبيعيا هو ما يسميه باديو الذات[11]. والتي لا تعني الشخص المجرد أو الوعي كما كانت هي عند ديكارت، ولذا "يجب الاحتراس من أن الذات لا تعني الذات السيكولوجية ولا كذلك الذات المفكرة (كما هي عند ديكارت) ولا الذات المتعالية"[12]. فهذه الذوات موجودة قبليا وهي تتعارض مع مفهوم باديو الذي يراها نتيجة أو تشكلا. ففي نظره أن الذات ناتجة عن الإخلاص للقاء حب. فذات الحب ليست هي ذات العاشق الموصوفة عند الأخلاقيين القدماء ذات المعنى الروحي أو السيكولوجي؛ لأن الذات السيكولوجية ترجع الطبيعة البشرية إلى منطق العواطف؛ أما تلك التي نتكلم عنها ليس لها أي وجود مسبق طبيعي، والعاشقان يدخلان في"تكوين ذات حب تتجاوزهما في نحن وينسجم مع ذلك الواحد والآخر[13]. فالذات ليست مفهوما يقسم العالم إلى اثنين: عالم خاص بأفراد استثنائيين؛ وعالم خاص بحيوانات بشر؛ فكلاهما يحمل الميلين: القوة الجاذبة في الإنسان الذي يرضى بما يوجد، والجمالية المحتملة في الشخص للتفتح على شيء آخر وهو الفكرة التي يتجاوز بها مظهر الجسدي والقبلي إلى ما هو أفضل والأكثر إلحاحا إلى الأفكار؛ لا تمييز في هذا بين فرد وآخر "فكل يملك القدرة لأن يسحب وجوده إلى آخر، ومن الحيوان الإنسان إلى الذات التي يمكن أن يكون"[14]. فالذات إذن موجودة عمليا للحيوان إنسان، وقد ينساها أو ينكرها بحكم ظروف اجتماعية معينة. لكن يجب أن لا تثنيه عن بنائها، فهو مشروع ذات. فمثلا أن العضلة توجد في الجسم بالقوة، وتقوى بالرياضة؛ فكذلك الذات تبنى انطلاقا من فكرة لأجلها يعيش ويعمل على تحقيقها."في النهاية أن نعيش ذاتا يعني أن نعيش من أجل الفكرة وهي مصدر سعادة وهناء"[15]. وإذا كانت سعادة الإنسان غاية إنسانية فهي اندماج الذات في فكرة أو الإخلاص لها رغم كل العقبات والانحرافات والتفاهات التي تحيط بالإنسان جرّاء النظام الرأسمالي المزيف للحقائق لأنّه "بالنسبة للرأسمالية فإن المساواة غير ممكنة وبالنتيجة فإن الشيوعية هي الاسم لإمكانية السياسية لهذه اللاإمكانية: إمكانية المساواة"[16]. فمن الأفضل أن نحارب من أجل المساواة وهي فكرة سياسية؛ من أن نقبل عدم المساواة الواقعية والبنيوية للعالم، وأن نعيش من أجل معرفة الحقيقة –وإن صعب الوصول إليها – بدلا من الوقوع في شرك خطاب للتنجيم وللدعاية الاعلامية وزيفهما؛ أن"نعيش من أجل إدراك عمل فني عوضا من أن نعيش من أجل تسلية جماهرية لا تتوقف"[17]. وهنا لا يكتفي باديو بالدعوة إلى هذا ؛ بل يرسم لنا العملية أو الوسيلة لتحقيق ذلك، وهي: أن نفهم كيفية الاندماج في فكرة والذي يقتضي"التخلي عن كل مفاهيم الذات السيكولوجية، وعن كل التصورات عما نعتقد أننا في الأساس "أنا" لا تتطابق مع الوعي"[18]. فالوعي مجرد نشاط للذات وقد يكون أعمى عن الحدث وعن حقيقته وعن الفكرة وهو يضيء فقط حياة الحيوان. فهو عملية للذات للتعرف على الحدث وأثره الدائم، وعلى أن يصبح مخلصا له أو مدمجا فيه. والعملية الذاتية ليست هي الذات، وبالتالي "أن نكون واعين لا يكفي لرفع أنفسنا الى مستوى الذات"[19]. فالاندماج في الحدث والإخلاص له يستلزم كذلك أن نصبح غير مدمجين في "الأنا " وفي ذواتها الصغيرة أو قل حتى في

جسدها. فمثلا أن يكون لي جسد سياسي يستحيل أن لا ترتبط فكرة المساواة بعلاقتها مع التفكير الأناني لمصالحي الخاصة لكنا لا تقف عنده. إن الجسد السياسي للنشطاء الذين يتنافسون رغبة في تحقيق المساواة؛ وهنا تعددية للأفكار والأفعال الجسدية وللشعارات التي تعرفها فكرة المساواة وتوحدها نسبيا. والتي ضمنها تصبح "الأنا" مدمجة داخل الذات الجمعية السياسية فإذا تجاوز الفرد نفسه يستطيع بهذه الطريقة أن ينتبه إلى الحدث ويصبح مخلصا له كي يصبح ذاتا . إن "الذات ليست الفرد. إنه الفرد الذي يصبح ذاتا بتجاوز "الأنا" الوجدانية والفكرية"[20]. إن فكرة الذات تعود إلى المعاش أكثر منها إلى المدرك، حتى ولو كانت هذه الدراسة تبحث في أن تفكر الذات وأن تعطي لها تمثلا صوريا أكثر دقّة ممّا هو ممكن. فالذات "تثبت محلّيًا"[21] وليست ما يبرهن عليه، وقبل أن تكون مقولة ميتافيزيقية للأكثر تعقيدا تعود إلى عالم الحياة وإلى هذه التجربة التي يصنع الحي من حياته ومشاعره وفكره. فهي إذن ما ينتجه إجراء حقيقة، فهي تلك "التي تنجز لا تميّزًا وتجبر القرار، وتلغي غير المتساوي"[22]

مفهوم الحدث وعلاقته بالحقائق:

إذا كانت الحقيقة تأتي مع الحدث، فما هو الحدث؟ وكيف يحدّد الحقيقة؟

إن الحدث عند باديو " تفردية غير مختزلة للخارجين عن قانون للوضعية"[23] فهو ما يفترض أنه يستدعي إلى تكوين الذات، والذي يجب أن يفترض بأنه مضاف وزائد، يجيء الى الوضعيات من حيث أن هذه الوضعيات والكيفية الاعتيادية للتصرف بداخلها لا تعلمه، لأن العلم به يفقده عنصر الجدة وهو ما به يتجاوز الإنسان الحيوان إلى الذات؛ فهو شيء غير مختزل عند انخراطه في الذي يجري يقول باديو: "هذا الاضافي نسميه حدثا"[24]، ويوجد خارج القوانين المنظمة للوضعية "قاهر لإبداع كيفية جديدة للوجود وللتصرف داخل الوضعية"[25]. وليس للتقوقع فيها، وليس موجودا في الاستعمالات للوضعية و"لا متروكا للتفكير بواسطة المعارف المؤسسة"[26] لأنها وجدت أو وضعت لتكرس نمطا من المعرفة التي جعلت من الفرد مجرد حيوان إنساني ولم ترق به إلى مستوى الشخص الذي يمكن أن نستشهد على وجوده مع باديو على المستوى الفني، حيث يكون للحدث موقع خاص بوضعية ما، وإضافي ومطلق ومنفصل عن الأسلوب القديم للموسيقى الكلاسيكية، ويسمح بتشكيلات موسيقية ليست مقروءة في الإمتلاء المتوصّل إليه بالأسلوب القديم. فالأمر هنا متعلّق بشيء آخر، أي بما هو جديد.

وعن التساؤل عما يربط ما بين الحدث وهذا الذي لأجل ماذا هو حدث، يجيب باديو قائلا: "إن هذا الرابط هو الفراغ في الوضعية السابقة "[27]. ففي قلب الأسلوب القديم الذي وصل إلى الإمتلاء المشهور يوجد الفراغ لفكرة حقيقية للهندسة الموسيقية. فالحدث يعطي كشكل تسمية موسيقية لهذا الفراغ، بحيث كان ذلك مبدأً جديدا لهندسة موسيقية موضوعية، كيفية جديدة لتطوير الكتابة انطلاقا من بعض الخلايا المحولة التي تكوّن الحدث نفسه؛ والتي كانت من داخل الأسلوب القديم غير مدركة.

قد تكون الوضعية مركّبة بواسطة المعارف المتداولة والمنتشرة. لكنّها لا تتضمّن فراغًا، وليس بها حدث؛ فالحدث يسمّي الفراغ في الوقت الذي يسمي مجهول الوضعية؛ ولهذا فإنّ المعارف السابقة التي تقول بها إتيقا المناقشة أو التداول لا تتضمّن حقائقا. ولنا في المجال السياسي مثال مشهور وهو أن "ماركس أصبح حدثا في الفكر السياسي فيما يعنيه تحت اسم "البروليتاريا" الفراغ المركزي في المجتمعات البورجوازية الناشئة"[28].

في النهاية فإن الطابع الأنطولوجي الأساسي للحدث عند باديو لا يكمن في تحديد الفراغ بقدر ما هو تسمية له. وهنا يقول ستيفان فينيلو (Stéphane Vinolo):"أكّد باديو على تسمية الفراغ وليس على تحديده، فلا يمكن القول بأنّ الوجود هو الفراغ لكن

الفراغ هو الإسم للوجود وكذلك اسمه الخاص"[29].
وإذا كان من الضروري تسميته فراغا؛ فهو تعدّدي، لأن" تسميته كتعدّد هي المخرج الوحيد، ويسمح بأن لا نستطيع تسميته كواحد، لأنّ الأنطولوجيا تمتلك كمبدأ أساسي بأن الواحد ليس كائنا[30]. فالفراغ والتعدد يسمحان بتجاوز النهائي إلى اللانهائي؛ إلى الإبداع للحقائق. فالحدث هو الذي يفتح الطريق أمامنا وبالإخلاص له يصبح الفرد ذات الحدث.

مفهوم الإخلاص وعلاقته بالحقائق:

إذا كانت الحقيقة ما ينتجه إخلاصٌ للحدث فما هو الحدث؟ وكيف يكون الفرد مخلصا للحدث؟

إن إدراك الحدث لا يكفي، بل يجب أن نكون مخلصين له عمليا، بحيث "نتحرك داخل الوضعية التي أضافها مفكرينا للوضعية بحسب الحدث"[31] والتفكير في الوضعية حسب باديو هو تطبيق وممارسة بوضع كل شيء محل اختبار؛ فمثلا إذا أردت أن أكون مخلصا للحدث "ثورة ثقافية" يجب علي أن أمارس السياسة لكن بطريقة مغايرة لما ينتجه التقليد الاشتراكي والنقابي، مثلما كان الأمر بالنسبة لـ: "برغ و ويبر"Berg et Webern " اللذين كانا مخلصين للحدث الموسيقي الذي له إسم "شوبرج" فلم يكن بوسعهما الإستمرار لو أن الرومانسية الجديدة لم تكن شيئا في آخر القرن. ولا أكون مخلصا لراديكالية أنشتاين الجذرية؛ إذا لم أستطع التخلّي عن ممارسة الفيزياء في إطارها الكلاسيكي. ومن هنا فإن "الاخلاص للحدث هو قطيعة حقيقية "[32]. سواء على مستوى التفكير أو على مستوى الممارسة حيث يجري الحدث. هذا الاخلاص للحدث هو الحاسم لإجراء فعلي لحقيقة الحدث، إنه بحث متواصل تحت إملاء الحدث نفسه. ولما لم تكن هناك حقائق مطلقة وكاملة؛ فإن "الاخلاص يظل قطيعة مستمرة ومحايثة"[33]. وأن أهم نقطة يمكن أن تقال بشأنه، هو أنه لم يكن أبدا ضروريا؛ لأنه يختلف عن الواجب الذي تمليه القواعد والتي بموجبها يصبح ضروريا.

فهو إخلاص، لكنه ليس إخلاصا للواجب، فهو لا إخلاص لما هو قائم، فهو لا يقيني، لذا فهو يمكّننا من تجاوز المعارف السّابقة ويدفعنا إلى إعادة النظر فيها والبحث عن الفراغ؛ وإذا كان الإخلاص يفترض أن للشخص منفعة، فهي في الصّورة لتمثيل الذّات التي لا يقرّرها مسبقًا فهناك لا مقرّر فيما يخص معرفة الصورة "لتمثيل ذاته تصلح كمنفعة"[34].

فإن مواظبة الشخص في اللاإخلاص تظل مجازفة وليست محسوبة العواقب؛ يقول باديو: "لأنه توجد هذه المجازفة فإنه يوجد مكان لأجل إتيقا حقائق"[35]. فالمجازفة تفسح المجال للفرد بترقب الحدث ومصادفة الحقائق.

إنّ مفهوم الإخلاص مهم للغاية من حيث أنه يعيّن الفعل الذي به نلزم أنفسنا بالمواقف الممزّقة للحدث. فبافتراض الإنسان الحدث يجد نفسه متغيّرا بسببه؛ فكونه مخلصًا هو "أن يصير ذات تغيّر بقبول نتائج الحدث"[36] وبذلك يصبح فرد الحدث.

فالإخلاص للحدث إقتناص هذه الفرصة للعيش في الحدث ولأجله؛ وأن لا يكون مجرد حيوان آدمي حتى يوم موته نحو وجودٍ خالٍ من المعنى. أن يظل مخلصًا لكونه إنسانًا مبدعًا لا مقلدًا. فالإخلاص للحدث هو إجراء فعلي للحقيقة التي يدرك بها سعادته، لأنّ "كلّ سعادة حقيقية هي إخلاص"[37]

مفهوم الحقيقة وحدودها:

- **إذا كان الإخلاص هو الإجراء الفعلي للحقيقة، فما هي الحقيقة؟ وما هي حدودها عند باديو؟**

يعرّف باديو الحقيقة، بأنها " الإجراء الفعلي لإخلاص للحدث"[38]. فهي ما يصنعه الإخلاص وما ينتجه داخل الوضعية؛ ويمكن الاستدلال عليه من الواقع؛ مثال على ذلك سياسة الماويين الفرنسيين ما بين 1966 و1976، التي حاولت التفكير وممارسة إخلاص لحدثين متشابكين وهما الثورة الثقافية في الصين وماي 1968 في فرنسا؛ وكذلك الموسيقى العصرية التي هي اسم مقبول وغريب، والذي هو إخلاص لكبار الفنّانين لبداية القرن؛ وللهندسة الجبرية في سنوات

الخمسينات والستينات كانت إخلاصا للتصوّر الكوني. بمعنى فالحقيقة هي الرسم المادي داخل الوضعية والإضافي الحدثي ولمّا هي مرتبطة بالحدث؛ فهي قطيعة محايثة، وإجراء غير منسجم مع المعارف المؤسسة للوضعية؛ وهنا يقتبس باديو عبارة "لاكان" الذي تصوّر بأنها "ثغرة في المعارف"(une trouee dans les savoirs)[39].

إن الحقيقة بمعنى أدقّ هي ذلك المتعدّد الداخلي للوضعية، لا يدرك مسبقا، يبنيه شيئا فشيئا الاخلاص؛ فهي "الذي يجمعه وينتجه الإخلاص"[40]، فهي نتيجة تستمدّ قوّتها من إعادة النظر في المعارف السابقة، فهي تتجاوزها، وبذلك فهي كشف لها؛ تجعلنا ندرك بأنه لا توجد نهاية محدّدة للمسار الذي يفتحه الحدث للفرد، بحيث يظلّ معناه مفتوحا نعيشه ولا نتأمّله فقط. وأن لا نصدّق بأن الحقيقة هي بدقّة وبفرادة هذه أو تلك، كما كانت تصوّره لنا بعض المذاهب الكلاسيكية أو الحديثة؛ لأن ذلك يعني" أن نجعل من الحدث مهزلة"[41] من حيث أننا نفقده معناه الذي يجعل من حقيقته غير مميزة ويعتبرها باديو شاملا. فالحقيقة غير مميّزة فهي لا تدخل تحت أيّ محدّدٍ، فهي تحدث ثقبًا في المعرفة"[42] فهذا النوع من الحقيقة هو الذي يغير معرفتنا التي ليست فيما امتلكنا ، بل بجب أن نبحث عنها ؛ ولا عني هذا انها تعرف بطريقة محددة فهي لا نهائية ؛ وبالتالي فلا نهاية للبحث عنها. ونضع لها عدة افتراضات. إنها تماثل ما يسمى شاملا(Génerique) كذلك الذي ظهر على يد الرياضي "بول كوهين" في برهانه على أنّ فرضية المستمرّ وبداية الاختيار مستقلّة عن نظرية المجموعات زرميلو (zermelo) ورغم ذلك فإنّ تكوينها مجهول.

يدرك الجميع بأن الحب يتشكّل من مسار وبناء ورحلة يقطعها المتحابان معا في مواقف مختلفة من الحياة، وبنى مثل العائلات وأماكن العيش والمهن؛ لكن ليس هناك من يعرّفنا بحقيقة الحب، حتى العاشقان يجهلان حقيقته؛ فمنبع سرّه في اختلاف النوع، وهو فعل أكثر منه تفكير، ونهايته ليست في انجاب طفل؛ "فالإنجاب مجرد موقف جديد للمشاركة"[43]. فحقيقة الحب تظهر فيما يسمّى إجراء حقيقة الذي لا نحدّده أو نفهمه موضوعيا، وفي نفس الوقت لا ننكره مادام يفعل وينتج إجراء.

إن حقيقة الحب عند باديو ملموسة، وليست مجرّد تمثيل عقلي إنّها بالفعل ما يصنعه العاشقان من حبهما بإخلاصهما للحدث الذي يصنع اللقاء بين رجل وامرأة والذي يجعل منهما ذاتين كل واحدة منهما نتجت عن علاقة تشارك بين الإثنين وليست ذوبان أحدهما في الآخر، فيكونان واحدا. ففكرة الواحد تناقض مفهوم الوجود عند باديو.

بالمثل لا يوجد ما هو أكثر كارثية في السياسة من أن تعلن إيمانك بشكل كامل ومطلق؛ ذلك الكمال الذي يضر الشمولية، والتي لا تدلّ في معناها على إلغاء الفرد بقدر ما تدل على حكمة غير المتميز والعام. فالحقيقة "تنتج مفهومًا لذاتٍ بكيفية تفرّدية تمامًا"[44]. فمن يعتقد بأن الشمولي لا ينكر الفردية وأنها غير قابلة للاختزال فهو مدرك لهذه الشمولية ومدمج معها، في حين أنّ فردًا آخر غامض يرفض الشمولية التي تعني أنها مفتوحة للجميع، والتي تتجاوز الثانوي أو التميزات؛ وهنا يطابق الحقيقة مع إيديولوجية ما، أو دين ما؛ وهو ما يجعل "معرفة مثل هذا الشخص معرفة زائفة، تحتل مكان حقيقة معاشة وغير محدّدة "[45].

إنّ كل حقيقة في نظر باديو يجب أن تطرح المعارف السابقة المؤسسة؛ وإذن هي "تناقض الآراء التي هي تمثيلات بلا حقيقة، وهي الحطام الفوضوي للمعارف المتداولة"[46]. فالمعارف المتداولة تتناقل ولا تختبر، فالحقيقة نلتقيها ولا نتداولها. فهي محصلة خبرة وممارسة مفتوحة وليست معارف مسطّرة أو كلية أو نهائيّة، وإذا كانت السعادة حقيقة فإنّ "كل سعادة في انتصار ضدّ النهائية"[47].

اتيقا الحقائق وقواعدها:

- إذا كان باديو يجعل من الحقيقة إتيقا، فما هي

إتيقا الحقائق ؟ وما هي قواعدها؟

يقول باديو: "نسمي إتيقا حقيقة بصفة عامّة مبدأ الاستمرارية لإجراء حقيقة أو بصفة دقيقة ومعقّدة، ما يعطي ثباتا لحضور شخص في تكوين ذات ينتجها إجراء هذه الحقيقة"[48]. فهي ما به يصير الفرد ذاتا.

إن السلوك العادي للحيوان إنسان يرجع إلى ما يسميه " سبينوزا" المواظبة في الوجود والتي لا تعني شيئا آخر غير متابعة المنفعة التي هي الاحتفاظ بالذات هذه المواظبة هي قانون الشخص مثلما هو متعرّف على ذاته؛ بينما الامتحان لحقيقة الذات لا يدخل تحت هذه القاعدة أو القانون. لأنّ الانتماء إلى وضعية ما هو إلا مصير طبيعي لأي إنسان لكن الانتماء إلى تكوين ذات حقيقة يرجع إلى رسم خاص لقطيعة مستمرة يصعب علينا معرفة كيفية فرض نفسها علينا أو كيف تتفاعل مع أبسط مواظبة للذات مع نفسها.

ويسمي باديو المواظبة وهذا التفاعل "الثبات"(concistance) وهي الكيفية التي بها يقحم المولع بالرياضيات مواظبته فيما يناقض أو يعيق فورا مواظبته، والتي هي انتماؤه إلى إجراء حقيقة، أو أنها الكيفية التي بها يكون العاشق نفسه "في اختبار مستمر لانخراطه في ذات محب"[49]. وهو وضع الفرد هذا فرديته لاستمرارية لذات حقيقة، أو هو وضع لمواظبة الذي هو معرف في خدمة للمجهول. وفي توضيح هذه الفكرة يقتبس باديو عبارة "لاكان" التي تمسّ هذه النقطة عندما اقترح هذا الأخير كقاعدة للإتيقا مفادها: "يجب عدم التخلّي عن الرغبة"[50]. بحيث أنّ الرغبة هي مكوّن ذات اللامدرك؛ وبالتالي فهي المجهول بامتياز؛ والذي يعني بكيفية ما؛ عدم التخلّي عن ما الشخص ذاته لا يعرف، فالكائن سعيد لذات يقوم في اكتشاف من داخله قدرته أن يفعل شيئا لم يكن يعلم بأنّه قادر عليه[51]. ويضيف باديو بأن اختبار المجهول ما هو إلا الأثر البعيد للاقتناص الحدثي الذي هو الثغرة للشخص بواسطة إخلاص إلى الإقتناص المختفي؛ فعدم التخلّي يعني في النهاية عدم التخلّي عن انتزاعه الخاص بإجراء حقيقة.

ولما كان مشروع حقيقة هو إخلاص، وكان عدم التخلّي هو القاعدة للثبات؛ فإنّ إتيقا الحقيقة بالنسبة إلى الشخص هي أن يكون مخلصًا لإخلاص، ولا يكون ذلك باستطاعته إلا بجعل مبدئه الخاص بالإستمرارية في خدمة ذلك. فالمواظبة في الكائن بما هو كائن تربط المعرّف بالمجهول. فبقدر ما يدخل في تكوين ذات، فهو تذويت لذاته. فالشخص يوجد في مجهول يخصّه.

فإتيقا الحقيقة تعبّر عليها العبارة:"افعل كل ما تستطيع لأجل أن تجعل مواظبا الذي تجاوز مواظبتك احفظ في الانقطاع، اقتنص في وجودك الذي اقتنصك وقطعك أو أوقفك".[52]

إن اتيقا الحقيقة في نظر باديو هي كل التناقض مع إتيقا للتواصل؛ فهي إتيقا للحقيقي إذا كان حقيقة كما صور "لاكان" أن كل دخول إلى الحقيقي هو من تنظيم أوترتيب للقاء. وأن الثبات الذي هو مضمون القاعدة الإتيقية "استمر" لا يذهب إلا" إلى الإمساك بخيط هذا الحقيقي"[53]. ويمكن صياغته كذلك بهذه العبارة "لا تنس أبدًا الذي التقيت". ولا تعني هنا باللانسيان للذاكرة؛ بل اللانسيان يقتضي التفكير وتطبيق ما يجدول وجودي المتعدّد للخالد الذي يحتجزه والذي ركّبه اختراق اللقاء في ذات"[54].

فغاية الإتيقا عند باديو أن تجعل من الفرد ذاتا خالدة، وخلودها في فكرة لأن السعادة في أن نعيش لأجل فكرة، فالفكرة هي السبيل إلى الحقيقة إلى الخلود المحايث لأن الحقيقة محايثة.

خلاصة:

إن فلسفة الأخلاق عند باديو قامت على مفهوم أساسي، وهو الحدث الذي بإدراكه، والإخلاص له، يرتقي الشخص من حيوان إنسان إلى فرد الحقيقة، ومن ثمّ إلى ذات بإدراكه الحقيقة التي ليست تمثّلات عقلية، بل نتيجة لتجربة واختبارات في شرط العلم والفن والحب والسياسة.

إن الحقيقة هي الفكرة التي يحملها الفرد عن نفسه،

ويعيش من أجلها؛ وهي أن يصير ذاتا، وبالتالي يكون خالدًا، وليس حيوانًا بشريًا، عرضة للإبادة وللموت الجسدي والمعنوي. فالأخلاق غايتها السعادة، وسعادة الشخص في أن يكون ذاتا، وكذلك سعادة البشرية في إتيقا الحقيقة التي تتشكّل من اعتراف الإنسانية بوجود الحدث والإيمان به.

الهوامش:

* ولد ألان باديو في مدينة الرباط المغربية في عام 1937 فيلسوف وروائي ومسرحي فرنسي، يعتبر من أهم الفلاسفة اليساريين المعاصرين في العالم، وقد ألّف عشرات الكتب في الفلسفة والثقافة ترجمت إلى كثير من اللغات العالمية خاصّة كتابه المرجع في الكينونة والحدث 1988، ومنها طلذك كتابه" نظرية الذات سنة 1982، ومنطقيات العوالم سنة 2006.

[1] ألان باديو ونيقولا ترونج، في مدح الحب، ترجمة غادة الحلواني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان س2009، ط1، ص9.

[2] المصدر نفسه: ص11.

[3] فتحي منصورية، مقال، مجلة دراسات فلسفية العدد2، س2014، ص173.

[4] في مدح الحب، مصدر سابق، ص15.

[5] المصدر نفسه، ص16.

[6] المصدر نفسه، ص22.

[7] Stephane Vinilo ,Alain Badiou, vivre en immortel L'Harmatan Paris 2014,p,41.

[8] Alain Badiou, L'èthique, essai sur la conscience du Mal, Hatier,1993,p,40.

[9] Ibid, p, 40.

[10] في مدح الحب، مصدر سابق ص، 27.

[11] المصدر نفسه، ص، 28.

[12] Alain Badiou, L'èthique, opcit, p,40.

[13] في مدح الحب، مصدر سابق، ص، 34.

[14] المصدرنفسه، ص، 28.

[15] المصدرنفسه، ص، 29.

[16] Alain Badiou, Metaphysique du bonheur reel(puf) ed,1, Pris 2015,p,15.

[17] في مدح الحب، مصدر سابق، ص، 30.

[18] المصدرنفسه، ص، 30.

[19] المصدر نفسه، ص، 31.

[20] المصدر نفسه، ص، 32.

[21] Alain Badiou L'être et L'évènement, Paris seuil, 1988, p,559.

[22] Ibid, p,559.

[23] Alain Badiou, L'èthique, opcit, p,40.

[24] Ibid, p,38.

[25] Ibid, p,38.

[26] Ibid, p,39.

[27] Ibid, p,61

[28] Ibid, p,61.

[29] Stephane Vinilo, vivre en immortel, opcit, P,41.

[30] Ibid, p,41.

[31] Alain Badiou, L'èthique, opcit,p,39.

[32] Ibid, p,39.

[33] Ibid, p,60.

[34] Ibid, p,62.

[35] Ibid, p,62.

[36] Alain Badiou, Metaphysique du bonheur ,opcit , p,50.

[37] Ibid, p,50.

[38] Alain Badiou, L'èthique, opcit,p,39.

[39] Ibid, p,39.

[40] Ibid, p ,60.

[41] في مدح الحب,مصدرسابق ,ص,24.

[42] Alain Badiou L'être et L'évènement,opcit, p,561.

[43] في مدح الحب, مصدرسابق، ص، 25.

[44] Alain Badiou, L'Entretiens 1 (1981_1996) ,Nous imprimerie Corlet France 2011 ,p,181.

[45] في مدح الحب، مصدرسابق، ص، 26

[46] Alain Badiou, L'èthique, opcit,p,26.

[47] Alain Badiou, Metaphysique du bonheur ,opcit , p,53.

[48] Alain Badiou, L'èthique, opcit,p,41.

[49] Ibid, p ,43.

[50] Ibid, p ,43.

[51] Alain Badiou, Metaphysique du bonheur ,opcit , p,53.

[52] Alain Badiou, L'èthique, opcit,p,43.

[53] Ibid, p ,43.

[54] Ibid, p ,47.